الرسالة

(عبرانيين ٤: ١٤–١٦؛
٥: ١–٦)

يا إخوةُ، إذ لنا رئيسُ كهنةٍ عظيمٌ قد اجتازَ السمواتِ، يسوعُ ابنُ الله، فَلْنَتمسَّكْ بالإعتراف* لأن ليس لنا رئيسُ كهنةٍ غيُر قادرٍ أن يرثيَ لأوهانِنا بل مُجرَّبٌ في كلّ شيءٍ مثلَنا ما خلا الخطيئَة* فلنُقبِل إذًا بثقةٍ إلى عرشِ النعمةِ لننال رحمةً ونَجِدَ ثقةً للإغاثةِ في أوانها* فإنَّ كُلَّ رئيسِ كهنةٍ مُتَّخَذٍ منَ الناسِ يُقامُ لأجلِ الناسِ فيما هو للّهِ ليُقرِّبَ تقادِمَ وذبائحَ عن الخطايا في إمكانه أن يُشفِقَ على الذين يجهلونَ ويَضِلُّون لكونهِ هو أيضًا متلبِّسًا بالضُّعفِ* ولهذا يجبُ عليه أن يقرِّبَ عن الخطايا لأجلِ نفسِه كما يقرِّبُ لأجلِ الشعب* وليسَ أحدٌ يأْخُذُ لنفسِهِ الكرامةَ بل مَن دعاهُ

الأحد الثالث من الصوم

في الأحد الثالث من الصوم الكبير الذي فيه نصل إلى منتصف رحلتنا نحو الأسبوع العظيم المقدس، رتب آباء الكنيسة أن نسجد للصليب الكريم المحيي. لقد قطعنا شوطاً لا بأس به في هذه الرحلة الجهادية وبدأ البعض يشعر بالتعب، وقد يستغل الشيطان تعبنا للإيقاع بنا وجعلنا نتخلّى عن جهادنا الروحي. تماماً كما يأتي «شيطان نصف النهار» (كما نسميه في صلواتنا) في ايام الحر والتعب ليجعلنا نسقط في الخطيئة ولو فكرياً.

العدد ١٢ / ٢٠١٧
الأحد ١٩ آذار
الأحد الثالث من الصوم
أحد السجود للصليب الكريم
تذكار الشهيدين خريسانثوس وداريةَ
اللحن السادس
إنجيل السَحَر السادس

ولئلا يدركنا التعب ونسقط من على السلّم الذي نرتقي به إلى العلاء وضعت الكنيسة أمامنا «الصليب المحيي» لتشديدنا وتعزيتنا، راغبة أن تكون عيوننا شاخصة إلى غاية هذا الصوم: الوصول إلى الصلب والقيامة المقدسة، وأن تذكّرنا من جديد بهدف رحلتنا الروحية. قد يسأل البعض: كيف يشددنا الصليب ويقوّينا، وهو أداة تعذيب وموت؟ يقول بولس الرسول: «ان كلمة الصليب عند الهالكين جهالةٌ وأما عندنا نحن المخلّصين فهي قوة الله... نحن نكرز بالمسيح مصلوباً لليهود عثرة ولليونانيين جهالة» (١ كو ١ : ١٨ و٢٣). قد يسألون: كيف نسجد للآلة العار التي كانت عقاباً للمجرمين وعاراً لدى الناس؟ وينسون قول الرسول: «وأما من جهتي فحاشا لي أن أفتخر إلاّ بصليب ربنا يسوع المسيح الذي به قد صُلب العالم لي وأنا للعالم» (غلا ٦: ١٤). كيف تصبح آلة الموت آلة حياة؟ وكيف ترنّم الكنيسة «إن صليبك لهوَ حياة وقيامة لشعبك وعليه اتكالنا،» «لأنه بالصليب أتى الفرح إلى كل العالم»؟

عندما خلق الله الإنسان الأول أوصاه: «وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها، لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت» (تك ٢: ١٧). أغوى الشرير آدم وحواء فسقطا من النعيم الإلهي ودخل الموت إلى حياتهما: «بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التي أُخذت منها. لأنك تراب وإلى تراب تعود» (تك ٣: ١٩). إذاً الموت كان علامة انتصار الشرير على البشرية. في المقابل نقرأ في إنجيل متى انه لما كان الرب يسوع معلّقاً على الصليب صرخ «إلهي إلهي

لماذا تركتني» مرتين. وفي المرة الثانية صرخ «بصوت عظيم وأسلم الروح، وإذا حجاب الهيكل قد انشقّ إلى إثنين من فوق إلى أسفل، والأرض تزلزلت والصخور تشققت، والقبور تفتحت وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين» (٢٧: ٥٠-٥٣). في لحظة موت الرب على الصليب تفتحت القبور وقامت أجساد الراقدين. في لحظة موت الرب يسوع على الصليب حصل الإنتصار على الشرير. في لحظة موته على الصليب حرّر الرب يسوع الموتى من براثن الشيطان الذي كان قابضاً عليهم. لذلك ننعت الصليب «بالكريم المحيي». إن مفاعيل القيامة بدأت مع موت الرب على الصليب: «الصليب حافظ المسكونة، الصليب جمال الكنيسة، الصليب عزّة الملوك، الصليب ثبات المؤمنين، الصليب مجد الملائكة، الصليب جرح الشياطين» (إكسابوستلاري عيد الصليب).

من هذا الكلام أعلاه نفهم لماذا تدعونا الكنيسة إلى السجود للصليب المحيي في منتصف الصوم. ولكي نحصل نحن أيضاً على ثمار صليب الرب في عيد الفصح، علينا أن نكون حاملين الصليب في حياتنا كل يوم وكل لحظة: «مَن أراد أن يتبعني فليكفر بنفسه ويحمل صليبه ويتبعني لأن مَن أراد أن يخلّص نفسه يهلكها ومَن أهلك نفسه من أجلي ومن أجل الإنجيل يخلّصها» (مر ٨: ٣٤-٣٥). مَن أراد أن يخلّص نفسه عليه أن يحمل صليبه منذ الآن كما حمل المسيح صليبه طوعاً في انطلاقه نحو الجلجلة. وكما قلنا في أحد الغفران انه علينا أن نماثل المسيح في كل شيء إذا أردنا الخلاص. الصليب الذي يجب أن نحمله هو صليب المسيح نفسه. صليب المسيح المفيض محبة للبشر. على الصليب تجلّت المحبة الكاملة: «فإنه ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحدٌ نفسه لأجل أحبائه» (يو ١٥: ١٣). كيف يحمل الإنسان صليبه ويُحب كما أحبّنا الرب يسوع؟: «الذي عنده وصاياي ويحفظها (يعمل بها) فهو الذي يحبّني» (يو ١٤: ٢١). وصاياه هي التي علّمتنا إياها الكنيسة في أسابيع التهيئة للصوم: أن نغفر لبعضنا، أن نقبل بعضنا بعضاً، أن نطعم الجياع، ونسقي العطاش ونزور ا لمرضى والمحبوسين، أن نتوب، أن نحب الآخر (العدو والصديق)، أن لا ندين بعضنا بعضاً كما فعل الفريسي. قد نجد مَن يصلبنا حتى ولو كنا نجاهد لكي نحفظ وصايا المسيح ونعمل بها. المهم أن نكون مؤمنين بالرب يسوع الذي قال: «ثقوا فلقد غلبت العالم» (يو ١٦: ٣٣).

علينا أن نضع ثقتنا بالرب الذي غلب الموت بطاعته لكلمة الآب: «أطاع حتى الموت موت الصليب لذلك رفعه أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم، لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة مَن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض» (في ٢: ٨-١٠). لنحمل صليب الرب على أكتافنا ولا بد أن نحصل على القيامة لأن وعده صادق.

عَرش النعمة

في الآيات التي تسبق مباشرة مقطع الرسالة المتلو علينا في هذا اليوم، يتحدث الرسول بولس عن «الراحة لشعب الله»، التي هي الراحة التي وعد بها الله كل من سمع بشارة الخلاص ـ إنجيل اللّهُ كما دَعا هرون* كذلكَ المسيحُ لم يُمجّدْ نفسَهُ ليصيرَ رئيسَ كهنةٍ بَلِ الذي قالَ لهُ أنتَ ابني وأنا اليومَ ولدتُكَ. كما يقولُ في موضعٍ آخرَ أنتَ كاهنٌ إلى الأبدِ على رتبَةِ ملكيصادَق.

الإنجيل

(مرقس ٨: ٣٤-٣٨؛ ٩: ١)

قال الربُّ من أراد أن يتبَعَني فليكفُرْ بنفسِهِ ويحمِل صليبَهُ ويتبعْني لأنَّ مَن أراد أن يخلِّصَ نفسَهُ يُهلكُها ومَن أهلك نفسَهُ من أجلي ومن أجل الإنجيل يخلّصها* فإنَّهُ ماذا ينتفِعُ الانسانُ لو ربحَ العالَمَ كُلَّهُ وخَسِرَ نفسَهُ* أم ماذا يُعطي الانسانُ فِداءً عن نفسهِ* لأنَّ مَن يستحي بي وبكلامي في هذا الجيلِ الفاسقِ الخاطئ يستحي بهِ ابنُ البشر متى أتى في مجدِ أبيهِ مع الملائكةِ القديسين* وقال لهم الحقَّ أقول لكم إنَّ قومًا من القائمين ههنا لا يذوقون الموت حتَّى يَرَوْا ملكوتَ اللّهِ قد أتى بقوَّةٍ.

تأمل

«مَن أراد أن يتبعني، فليكفر بنفسه ويحمل صليبه ويتبعني»... صليبه، إنما هي الشجون والآلام في حياتنا الأرضية، والتي هي شخصية لكل منا. صليبه، إنما هي الأصوام، والأسهار، وسواها من الجهادات النسكية التي بها يُذلّل الجسد ويخضع للروح. ولكن، يجب أن توافق هذه الجهادات قدرات كل شخص، التي هي خاصة لكل إنسان. صليبه، إنما هي الأسقام المعزّوة إلى الخطيئة أو إلى الأهواء، والتي هي شخصية لكل منا! إن صليب المسيح هو تعليم المسيح. وعليه، فباطلاً وعقيماً يبقى الصليب الخاص، مهما كان ثقيلاً، إن لم يتحوّل في اتّباع المسيح إلى صليب المسيح. فبالنسبة إلى تلميذ المسيح، يصبح صليبه صليب المسيح لأن تلميذ المسيح الحقيقي يعلم بأن الشجون التي يسمح بها المسيح هي الشروط الضرورية المحتومة للمسيحية، وأن المسيحي بآلامه يماثل المسيح، فيصير شريكاً له في مصيره على الأرض، وبعدئذٍ في السماء. بالنسبة إلى تلميذ المسيح، يصبح صليبه صليب المسيح، لأن تلميذ المسيح الحقيقي يعتبر إتمام وصايا المسيح بمثابة الهدف الأوحد لحياته، إذ تمسي هذه الوصايا الجزيلة القداسة

المسيح ــ فآمن بها يقيناً وعمل بموجبها من كل قلبه، على قدر طاقته. القديس بولس يشبّه راحة المؤمنين هذه في الله براحة الله في اليوم السابع، «لأن الذي دخل راحته استراح هو أيضاً من أعماله، كما الله من أعماله» (عبر ٤: ١٠). بيد أن هذه الراحة، وإن بدت في الشكل مستقبلية، إنما هي بحسب ما يفسر الرسول بولس حالةٌ جَعَلَ الله لها توقيتاً دائماً هو «اليوم»: هنا يستعير الرسول بولس آية المزمور «اليوم، إذا سمعتم صوته لا تقسّوا قلوبكم». بقدر ما آمن الإنسان ببشارة الإنجيل والتزمها وسعى إلى العمل بموجبها بقدر ما أُتيحت له الراحة في الله. أما الذين سمعوا البشارة «لكنهم ما انتفعوا بالكلام الذي سمعوه لأنه كان غير ممتزج عندهم بالإيمان» (٤: ٢) فهم واقعون تحت وعد إلهي آخر، يقول فيه تعالى «حتى أقسَمت في غضبي: لن يدخلوا راحتي» (٤: ٣). العبرانيون الذين خاطبهم القديس بولس في رسالته هذه، هم مثلنا تماماً: كلهم وصلتهم بشارة الإنجيل، أي كلهم سمعوا صوت الله، منهم مَن اقتبل البشارة باتضاع وآمَن، ومنهم من بقي على قساوة قلبه فلم ينتفع من البشارة شيئاً.

يختم الرسول فكرته بالقول إن كلمة الله «خارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ، ومميزة أفكار القلب ونياته»، وأن أمام عَينَي الله ــ أي بمقياس الله ــ «كل شيء عُريان ومكشوف» (٤: ١٢-١٣). معنى هذا الكلام أن العلاقة مع الله تأتي من عُمق القلب وتشمل الكيان بأسره ــ وهذه يُتَدَرَب عليها شرط أن توجد النية والعزم ــ وإلا كانت وهماً. ما الحل إذاً، لكي لا ننخدع بالأوهام فنعلق في السطحيات؟ بداية يضع الرسول بولس أمامنا مثال الذين ما انتفعوا من البشارة شيئاً لكي نبقى يقظين فلا ننزلق إلى حيث هم سقطوا. ثم علينا أن «نتمسك بالإقرار»، أي بالإعتراف أو الحالة التي تنقل الإيمان من النظري إلى المُعاش. إذاك لنا خير من يساعدنا بل ويخلّصنا، يسوع المسيح ابن الله رئيس الكهنة العظيم الذي اجتاز السماوات ــ أي القادر أن يمنحنا تلك الراحة المَوعود بها ــ وصاحب عرش النعمة. هنا لا بد من الانتباه إلى أنه بعبارة «فلنتمسك بالإقرار» يربط الرسول بولس الخلاص بمساهمتنا أيضاً. يسوع رئيس الكهنة العظيم، الحامل إلينا معرفة الله والإيمان والتقديس، قادر أن يُدخِلنا في راحة الله، بل وهو من أجل هذا أتى. «أما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل» (يو١٠: ١٠). بَيد أن هذه العطايا كلها، ولأن الله يريدنا أحراراً حتى في حبنا له، تبقى مرهونة بإرادتنا في أن نقتبل الإيمان في عمق ذواتنا وأن نحوّله اعترافاً مُعاشاً في كل لحظة، في أي موقع كنا ومهما فَعَلنا.

في هذا الرسالة يُخاطب القديس بولس مسيحيين من أصل عبراني، كانوا آنذاك يقاسون تجارب عديدة لعل مُعظمها آتٍ من صعوبة العبور من مفاهيمهم السطحية والجافة للناموس والأنبياء إلى التفاعل مع بشارة الحياة بيسوع المسيح. ربما لأجل هذا كان بينهم من لم ينتفع من البشارة شيئاً، ولأجل هذا نرى الرسول بولس إذ يحثّهم على البقاء متمسّكين «بالإقرار»، يُشَدِّد عزيمتهم بالقول إن رئيس كهنتنا يسوع المسيح، الإله الناظر ضُعفَنا والقادر أن يشفينا، هو أيضاً

الإنسان الذي اختبر وعانى آلام طبيعتنا البشرية وضعفاتها. لعلّ عبارة «مجرَّب في كل شيء مثلنا بلا خطيئة» تأتي للتشديد على تحسُّس الربِّ لعمق مأساتنا وبالتالي تعطُّفه علينا. يسوع ربنا اختبر التعب والجوع والاضطهاد والإهانات والنكران والآلام والموت المُذِل، وهو البريء من أي ذنب، وفي كلّها كان صابراً ولم يُخطئ. بقدر ما أبعد التمرّدُ الإنسانَ القديم عن الله، أعاد الإنسانُ الجديدُ يسوعُ المسيحُ الطبيعةَ البشريةَ إلى أحضان الله، بصبره واتّضاعه الأقصى حتى في الظلم الأقصى. إن تجاوز الآلام والضعفات البشرية بلا خطيئة، الذي كان مستحيلاً على البشر من قبل، صار مُمكناً بقوة المسيح يسوع وبالتمسُّك بالإيمان به والاعتراف به. القوة من عند رئيس الكهنة الأعظَم، إذ هو القادر فهو وحده «المُقَدِّس والمُقَدَّس»، أما علينا فالإرادة في أن نؤمن ببشارة الإنجيل إيماناً يترسّخ في عمق النفس ويشمل الكيان كلّه، والعزم في أن نحوّل هذا الإيمان اعترافاً علنياً بالأفعال. كلّما شعرنا بالضعف يعوقنا، نلتفت إلى القوي القدير مُرَدّدين قول المزمور «إلى الربّ في ضيقي صرختُ فاستجاب لي» (١١٩: ١)، ومُتَذَكّرين أيضاً أنه مهما واجهتنا، ضيقات ومعوقات في مسيرتنا إلى الله، فإن رئيس كهنتنا الأعظم قد سبق فغلب العالم (يوحنا ١٦: ٣٣). لا يجوز لنا إذاً أن نيأس وكأننا متروكون، ولا حتى أن نتردد أو نتكاسَل. بل بالحري أن «نتقدَّم بثقة إلى عرش النعمة»، وهذه الـ«ثقة» ليست بذواتنا أو بأي شكل من أشكال الإستحقاق لنا، بل ثقة بمحبة صاحب العرش. هي الثقة التي تعني بساطة القلب ونقاوة الضمير والرجاء اليقين. «تقدَّموا إليه واستنيروا فلا تخزى وجوهكم»، يقول سفر المزامير (٣٣: ٥).

للمسيح ربّنا عرشان: «عرش النعمة» الذي نصبه الربّ بإرادته على الجُلجُلة في ذلك اليوم الرهيب، والذي سوف يبقى جالساً عليه بالإنجيل والأسرار الإلهية إلى انقضاء الدهر. هذا هو العرش الذي يدعونا القديس بولس إلى التقدّم إليه بثقة ما زال الوقت مناسباً، تهدينا إليه حياة الكنيسة وخُبُرات قدّيسيها، لكي ننال رحمة ونجد نعمة. أما العرش الثاني فهو عرش الدينونة، عند المجيء الثاني، وعليه يجلس ربُّ المجد الديان العادل قائماً ليحكم في الأرض بالعدل والإنصاف (مزامير ٨٠: ٨ و ٨٧: ١٤). عرش النعمة نأتي إليه بإرادتنا، بثقة المؤمن المتواضع، فيستجيب لنا الرب ويعيننا لأن الوقت ما زال وقت خلاص (إشعياء ٤٩: ٨). أما عرش الدينونة، فسوف نُساقُ إليه سَوقاً، لكي نؤدّي عن حياتنا الحساب (متى ٢٥: ٣٢).

بشارة والدة الإله

بمناسبة عيد بشارة والدة الإله تُقام خدمة صلاة الغروب والمديح عند السادسة من مساء الجمعة ٢٤ آذار وصلاة السَحَر عند التاسعة وخدمة القداس الإلهي عند العاشرة من صباح السبت ٢٥ آذار في كنيسة بشارة السيدة في الأشرفية.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:
www.quartos.org.lb

له الصليب الذي يُصلب عليه إنسانه العتيق «مع أهوائه وشهواته» (غلا ٥: ٢٤). من الواضح إذاً أنه قبل حمل الصليب لا بد من الكفر بالنفس إلى درجة إضاعة النفس» (متى ١٦: ٢٥). وبغية حمل الصليب، لا بد أولاً من أن يلجم الإنسان الشهوات الجسدية الخاطئة، كما ينبغي الاعتراف أن برّنا الخاص يصير ظلماً بالغاً قدام الله، وذكاءنا جهالةً تامة. أخيراً، وبعد الاستسلام لله بكل قوة الإيمان، والانكباب على دراسة الإنجيل المتواصلة، ينبغي الكفر بالمشيئة الخاصة، ومَن بلغ نكراناً للذات كهذا هو الذي يصبح قادراً على حمل صليبه. ففي خضوعه لله، وفي التماس عونه لمعالجة ضعفه، إنما يبصر المحنة تقترب فلا يخاف ولا يضطرب، بل يتأهّب لتحمّلها بشجاعة وبسالة، مؤمّلاً أن يصير بفضلها شريكاً لآلام المسيح، وأن يبلغ إلى الاعتراف بالمسيح، لا في ذهنه وقلبه فحسب، بل وفي أعماله وسيرته نفسها أيضاً. وعليه، فإن صليبنا يبقى ثقيلاً ما دام صليبنا الخاص. ولكن، ما إن يتحوّل إلى صليب المسيح حتى يكتسب خفّة عجيبة: نيري ليّن وحملي خفيف» (متى ١١: ٣).

القديس إغناطيوس بريانشنينوف